جامعة الشعوب الاسلامية والعربية
الجمعية التأسيسية
مكتب أفغانستان

روسيـــا وأفغانستان

« ملحدون ومسلمون »

جامعة الشعوب الاسلامية والعربية

الجمعية التأسيسية

مكتب أفغانستان

روسيا وأفغانستان

« ملحدون ومسلمون »

محتويات

"روسيا وافغانستان .. ملحدون ومسلمون .. طامعون ومناضلون"

مقدمـــة

أخى القارىء العزيز

أتشرف بأن أتقدم اليك بدراسة جيدة لأخ مجاهد مؤمن من اخوانك أبناء أفغانستان .

انه (الدكتور / عبدالرحمن ألفت) من خبراء التخطيط الاقتصـــادى العالمى والذى يؤدي واجب الجهاد المقدس فى صمت بعيدا عن الأضـــواء مؤثرا حسن ثواب الآخرة .

انني حريص يا أخى القارىء أن تتكون لديك فكرة واضحة عن أرضــــك (أفغانستان) أرض المسلم الأبى أرض الانسان الحر . وثقتى كبيرة فيك أن تكون خير نصير لقضيته أفغانستان ، وأن تنقل محنة أفغانستان ، ومآسيهـــا وآلامها ، واصرار شعبها على انقاذها من براثن الغزو الشيوعى الى كل فـــرد وكل جماعة وكل حكومة فحق الانسان الحر والمؤمن الأبى يطالبك بذلك .

آتاك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

محمد هارون المجددى

من أبناء أفغانستـــان

بسم الله الرحمـــن الرحيـــــم

" ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيـــــلا ."

صدق الله العظيـــــم

حديث شريف ،

" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ."

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

" روسيا وأفغانستان ... ملحدون ومسلمون ... طامعون ومناضلون "

دراسة من اعداد :

الدكتور عبد الرحمن ألفت

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

صدق الله العظيم

تفسير لأحداث أفغانستان

لقد حدث ماكان لابد أن يحدث ، فقد وقع الصدام بين الاسلام والشيوعية ومكان الصراع هو أفغانستان ، ولم يرتو بعد تعطش روسيا للدماء وبعد سنتين من الحرب بالوكالة ، وبعد قتل ما يقرب من ثلاثمائة ألف شخص واخراج نصف مليون من ديارهم . وهاهى الدولة التى نشأت فكرتها من خلال ممارسة القوة الغاشمة والتى تعتنق فلسفة مادية بحتة ، تستدعى اعدادا متزايدة من قواتها لسحق أفغانستان ومحوها من الوجود ، ذلك البلد الذى كان بمثابة نقطة الانطلاق الثانية للاسلام ، والذى انتشرت منه عقيدة الاسلام فى ربوع آسيا . ان دولة كبرى تجند تفوقها التكنولوجى والمادى الساحق فى سبيل القضاء على شعب صغير يدين بوجوده ويستمد مجده من القيم الروحية وحدها . ولقد سلمت روسيا دون قصد منها بما تمنعها فلسفتها من الاقرار والتسليم به . . . فقد ارسلت جنودها لسحق قوة روحية . الكل يعلم خطوط الامداد التى تعتمد عليها قوات قوامها مائة ألف جندى يجوبون ارجاء افغانستان ، ولكن من الصعب أن يجد المرء حتى فى الملفات السرية لاجهزة جمع المعلومات فى شتى انحاء العالم ، أية معلومات عن عدد الافراد او الامكانات التى تساند حركات التحرير فى أفغانستان .

ان هذا التحدى الروسى يجب أن يحظى بدراسة دقيقة واعية من جانب العالم الاسلامى . ولا ينبغى أن يختلط علينا امر هذا التحدى بطبيعته المركبة والذى كانت طليعته مائة ألف جندى يحتلون أفغانستان فى الوقت الحالى . فهو تحد

متعدد الابعاد ، ويمس كل جوانب حياتنا سواء الروحية منها ام المادية. ويتهدد اهدافنا وسياساتنا فى كافة مجالات الاتصال والتعليم والتكنولوجيا ، وأهدافنا الاجتماعية والقضائية. ولابد لنا من أن نفكر بطريقة موضوعية فيما تنطوى عليه هذه التحديات.

والرد الفعال المبنى على أساس من التقييم الواعى لهذه التحديات سوف يحمل فى طياته بذور صحوة اسلامية سوف تترتب عليها نتائج واثار بعيدة المدى.

غير أن هذا التحدى ليس جديدا على افغانستان ، ولكن ماهى الاسباب التى اثارته هذه المرة ؟ وكيف تتابعت الاحداث التى هيأت الفرصة لاستيلاء الروس على أفغانستان؟ وما الذى حاد عن طريق الصواب ؟ وما هو السبب الذى جعل امة عرفت ببسالتها وغيرتها فى الدفاع عن استقلالها ترضخ وتخضع للسيطرة الروسية؟ وبعد أن اصبح هذا الاستيلاء امرا واقعا ، هل سيصبح ايضا وضعا دائما ؟ أم أن هناك قوى خفية بدأت تحدث تأثيرها من جديد من نوع القوى التى عرقلت مسيرة الاسكندر الاكبر فى غزواته المتتابعة ، او القوى التى امتصت وطأة غزوات المغول وانتهت بهم الى الدخول فى الاسلام ، او تلك القوى التى ابادت منذ عهد غير بعيد قوة بريطانية قوامها ١٦٥٠٠ رجل فى عام ١٨٤٨ ولم يبق منها على قيد الحياة سوى رجل واحد يدعى الدكتور برايدون ، او تلك القوى التى جعلت الشعب الافغانى ينال استقلاله قبل أى دولة اخرى فى القارة الاسيوية ؟

لعل الله رأى وهو الحكيم العليم ان افغانستان هى أنسب البلاد لتحمل وطأة العدوان الروسى ضد الاسلام. ان الافغان لا تراودهم اية اوهام عما يدخره المستقبل لهم : المزيد من التضحيات والمزيد من الدماء ، والمزيد من قنابل النابلم ومن المحتمل جدا ان يضربوا بالقنابل الذرية ايضا . ولكننا نؤمن ايمانا عميقا بما وعدنا الله به فى كتابه العزيز حيث يقول :

" ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا "

وستكون نهاية طريقنا هى الفوز ان شاء الله تعالى .

ان ضعف وتهافت قوى التحرير فى افغانستان مسألة مدعومة بالوثائق ، فصحف العالم تفيض بالاخبار التى تتحدث عن الانقسام الذى يسود حركات التحرير الافغانية ، وعن ضآلة حجمها واسلحتها العتيقة وعن نشاطها وعملياتها التى تأتى بعكس المطلوب فى بعض الاحيان ، ولكن مطالبة هذه الحركات بالترابط والتماسك وتنسيق العمل فى مثل الوضع الذى تمر به افغانستان هو اشبه بمن يدعو للانسجام والتآلف فى مرجل يفور بالغليان ، وهذا هو الوصف الدقيق للوضع فى أفغانستان فالجرح الذى منيت به هذه البلاد قد أصاب كل فرد فيها ، فقد نفذ من خلال كل التقسيمات العنصرية والطائفية فى المجتمع الافغانى وهنا يكمن سر ضراوة المقاومة الافغانية ، وفيه ايضا تفسير لعفوية هذه المقاومة وطابع التشتت الذى تتسم به .

غير أن افتقار هذه المقاومة للزعامة وتفرقها كان بمثابة نعمة متوارية ، فلو كانت هناك جبهة موحدة منذ البداية لادى ذلك على الارجح الى ان تتخلى كثير من جيوب المقاومة من الاهالى عن زمام المبادأة الذى تمسك به حاليا فى ميدان الكفاح انتظارا لتوجيه يصدر عن مثل هذه الزعامة ، ومن المرجح ايضا ان انعدام وسائل الاتصال من جراء طبيعة الارض فى افغانستان ، والخطأ فى تقييم الوضع كان لابد وأن يحدث اثره المعتاد دائما فى مثل هذه المواقف .

ولقد انتشرت المقاومة فى كافة انحاء البلاد ، ولم تدخر اية قرية او تجمع سكانى جهدا فى شن هجوم مضاد ، ولم تنعم مناطق البلاد التى استولى عليها السوفييت بلحظة من الهدوء منذ ان تم الاستيلاء عليها ، ولم يرفع حتى الان نظام حظر التجول الذى فرض عليها من الفجر الى الغسق . فهذه الطبيعة العفوية التلقائية التى تتميز بها المقاومة هى ايضا سر قوتها ، فهذه المقاومة لم تبدأها قيادة ما ، ولن تتوقف أبدا بمعرفة مصدر وحيد .

والواقع أن مستوى التضحيات التى بذلها الشعب الافغانى لم يسبق لها مثيل من قبل . فقد انقضى مايقرب من عام تلاشى خلاله الحماس المبدئى الذى يصاحب نظام الحكم الجديد ، وتبين للجماهير الطابع الحقيقى للشيوعيين ، وفى خلال هذه

الفترة كانت أفغانستان تعيش فى بحر من الدماء ... ففى اقل من عام قتل أو سجن مالا يقل عن ٣٠٠,٠٠٠ شخص على أيدى الشيوعيين ، ولا تكاد توجد اسرة واحدة فى افغانستان لم تتأثر بما اصاب هذه البلاد من جراح .

غير أن هذا لا يعنى ايجاد المبررات للفرقة والتفكك فالافغان يدركون تماما خطورة مثل هذه الفرقة والاختلاف ، ولو سادت هذه الفرقة - لا قدر الله - لعمت المنطقة بأسرها أزمات أسوأ بكثير من الازمة الحالية ، ولفاضت بحار الدماء عن مستواها الحالى ، ولن يستفيد من التفكك والحروب الطائفية سوى الاتحاد السوفييتى وحده ، لانها ستجعل له مخرجا طيبا وتتيح له الفرصة لتنفيذ استراتيجيته القديمة ليس فى أفغانستان وحدها وانما فى ايران وباكستان ايضا لأن هاتين الدولتين تعانيان من نفس الانقسامات العنصرية والطائفية ، وهى الانقسامات والحزازات التى يمكن أن يضرب بعضها ببعض فتحدث سلسلة من ردود الفعل فى غمار نيران أضخم حرب يمكن ان تنشب فى الارض .

<u>مقدمـــات الموقف الحالـــى :</u>

لعب نقص المواد الغذائية فى عام ٧٠ - ١٩٧١ دورا كبيرا فى اضعاف قاعدة السلطة التى كانت تعتمد عليها الملكية فى افغانستان حينذاك . وسواء كان السبب فى نقص المواد الغذائية يعود الى شدة الجفاف أو يعزى لسوء الإدارة من جانب الحكومة ، فقد وصلت المعاناة الى حد الازمة ، حيث كان الاهالى يموتون جوعا ، وارتكب الموردون اعمالا شنيعة لم يسبق لها مثيل وانتشرت عمليات الاستغلال الانتهازى لتحقيق ارباح فاحشة ويمكن الحكم على سوء تدبير الامور فى البلاد من المستوى الذى هبطت اليه أسعار الحاجيات فى أعقاب الأزمة ، وكان السبب فى ذلك الهبوط الحاد فى الاسعار يرجع الى وفرة المحصول بالاضافة الى وصول المساعدات الاجنبية متأخرة ، كما يرجع أيضا الى تخزين المواد على أوسع نطاق أثناء الأزمة . وقد وصف البنك الدولى للانشاء والتعمير فى احدى تقاريره الحكومة التى كانت تتولى زمام الامور حينذاك بأنها أقل الحكومات كفاية فى أى مكان فى العالم .

كانت الحياة السياسية والاجتماعية فى افغانستان فى أواخر الستينات وبداية السبعينات تعج بالفوضى والاضطراب ولا تتحرك نحو هدف معين ، وكانت المؤسسات التعليمية يسودها الاضطراب فى الواقع وسهلت حرية التعبير والترويج لكل الافكار بغض النظر عما تحويه من خيال وبشاعة وانتشرت الصحف الرديئة ، وكانت خطب أعضاء البرلمان لا جدوى فيها سوى تعطيل أعمال الحكومة ، فكان التصديق على الميزانية يتأخر لمدة ستة أشهر أو تزيد . وفى أوساط الطلاب عمت الفوضى ، فكانوا يعتدون على المدرسين ولا يواظبون على الدراسة . وراح الخطباء يصخبون ، والشعراء غير المثقفين والكتاب الجاهلون ينهشون فى جسد الحكومة الميت . وموجز القول أن البلاد كانت تعج بالمظاهر السطحية والشكلية دون ما هدف او غاية ، فالحكومة اما أنها كانت مخادعة فى حد ذاتها أو أنها كانت تتألف من مجموعة من الدجالين . فقد سمحت بحرية الكلام ولكنها تقاعست عن اقامة المؤسسات الضرورية لقيام نظام لضبط الامور واحداث التوازن ، ومن ثم انعدمت الوسائل الملائمة لتوجيه حرية التعبير نحو غايات واهداف معينة ، وكانت محصلة ذلك كله هى الفوضى العارمة ، فسارت الجامعة والمؤسسات التعليمية الاخرى فى طريق الاغتراب الفكرى ، فكان الاساتذة الافغانيون والاجانب على حد سواء يرددون بدقة تامة آراء كل المفكرين الاجانب ابتداء من روسو ومونتيسكيو حتى ماركس ولينين وتوماس هوبز .. الخ . وكأنما لم تفرز حضارة الاسلام التى استمرت ١٤ قرنا مفكرا واحدا او فيلسوفا واحدا يستحق ان تهتم به جامعة كابول . وقد الغى جهاز التعليم ، سواء من باب السهو أو من قبيل العمد كل وسائل التمحيص الضرورية لفحص الافكار فحصا نقديا قبل اعتناقها وتبنيها . ومن ذلك أن المذهب الشيوعى لم يخضع لأية دراسة نقدية بل على العكس من ذلك أصبح اعتناقه رمزا لمسايرة الاتجاهات الحديثة عند العقلية الافغانية ذات الميول الراديكالية نتيجة لانتشار الفقر على أوسع نطاق فى البلاد . ومما يدعو للسخرية ان بعض الشيوعيين العاليين من خريجى كلية الشريعة فى تلك الايام . بل ان رجال الدين فى افغانستان لم يكن فى مقدورهم ادراك كنه الازمات التى كانت تتجمع فى البلاد ناهيك عن الوقوف فى وجهها او التصدى لها . وبوسع المرء أن يدرك المحنة التى تعانى منها روسيا فى سعيها لاخضاع افغانستان ، فقد كانت روسيا تظن أن تكتيكاتها مضمونة النجاح . وهذه التكتيكات ذات شقين أساسيين : اولهما استغلال حالة

الجمود والقصور وعجز الحكومة عن ان تفعل شيئا لعلاج المشكلات الاقتصادية وتفسير هذا الفشل من جانب الحكومة طبقا للمذهب الشيوعى بالاستعانة الى أقصى حد ممكن من وسائل الاعلام فى هذا الشأن ، بأن تقدم حلولا نظرية تجريدية لتلك المشكلات. أما الشق الثانى فتمثل فى تقديم المنح الدراسية لأى طالب افغانى يرغب فى ذلك ، وفتح ابواب البعثات على مصراعيها أمام خريجى المدارس والكليات العسكرية بصفة خاصة وتلقين الطلاب أفكار ومبادئ مذهبهم بشكل مكثف . وقد اكتفت روسيا بتلقين مذهبها للطلاب الذين يدرسون فى معاهدها وان كانت قد افتتحت ايضا معهدا كبيرا للفنون التطبيقية ينافس جامعة كابول فى حجمه ونشاطه .

وقدرت روسيا ان الدعاية وما يسمى بالاساليب الديمقراطية هى أفضل وسيلة لخلع الحكومة العاجزة واقامة حكومة اخرى من صنعها . ولهذا السبب حرص (حفيظ الله أمين ،وبابراك كارمال والسيدة ناهيتا) وغيرهم من الشيوعيين على خوض الانتخابات لدخول البرلمان . وفى منطق الروس أنه اذا فشلت هذه الوسائل السلمية فانه يمكن اللجوء الى العناصر العسكرية التى جندتها للقيام بانقلاب وقد كان الفشل حليف مايسمى بالوسائل الديمقراطية ، فلم يعد الطلبة الشيوعيون يشدون جماهير المستمعين فى المناقشات الحرة التى كانت تدور فى جامعة كابول ، واستثيرت المشاعر الاسلامية واصبح المسرح معدا لتكوين اتحاد الطلاب المسلمين الذى برز من صفوفه معظم الزعماء الذين قادوا ما لا يقل عن اثنتين من حركات التحرر فى بيشاور .

وفى أواخر الستينات انكشف امر الشيوعيين فى المناقشات الحرة التى دارت فى جامعة كابول وفى الصحف الى حد ان رئيس تحرير احدى الصحف الاسلامية وهو السيد جاهيز لقى مصرعه على أيدى عملاء المخابرات الروسية فى كابول . وكان اغتيال جاهيز علامة فارقة تدل على حدوث تحول فى التكتيك الأساسى

للشيوعيين فقد شاهدوا آمالهم فى تحويل الافغان الى الشيوعية بطريقة سلمية تتحطم وتنهار ومن ثم قد بدا تخطيطهم فى الخفاء أشدّ مايكون .

ولما كانوا يدركون انه لا سبيل لهم للظهور علنا ، فقد اغروا (داوود) بالاستيلاء على الحكم ، وكانوا العقل المدبر للانقلاب الذى اعلن (بابراك كارمال) فى اعقابه " ان المهمة التاريخية لحزب (برتشم) قد تحققت " والقصة التى بدأت منذ ذلك التاريخ معروفة لنا جميعا ولذلك فاننا لسنا بحاجة للافاضة فى الحديث عن المنازعات التى دارت بين حفنة من العملاء والاذناب ، وانما ينبغى لنا ان نركز ابصارنا على الامور الاساسية التى تشكل الدوافع الرئيسية لروسيا .

<u>لماذا تدخلت روسيا</u> :

نادرا ما تقدم الدول على الدخول فى مغامرات عسكرية من أجل تحقيق هدف واحد ، ولذلك فانه يمكن فهم المعنى الحقيقى لمثل هذه المغامرات فى اطار من العوامل الاخرى التى لا يجب ان ينظر اليها بمعزل عن هذه العوامل . وهناك مالا يقل عن اربعة عوامل متداخلة لتفسير العدوان السوفيتى وهى استغلال الموارد الطبيعية فى افغانستان ، والوصول الى المياه الدافئة ومنابع البترول واحتواء الصين ومحاولة وأد حركات التحرير فى البلاد الواقعة الى الجنوب.

وهناك عنصر غاية فى الاهمية يساعد على فهم الدوافع الروسية وهو أن نتذكر دائما ان روسيا تتحرك طبقا لمخططات طويلة المدى ، فاعمالها يمليها عليها منطقها البارد فى تقييم الموارد العالمية بالنسبة لاهداف التصنيع السوفيتية فى المدى البعيد . ولنطرد من أذهاننا الى الابد تلك الخرافة القائلة بأن الشيوعية هى النتيجة الطبيعية للتوتر الاجتماعى والصراع بين الطبقات .

١ - **استغلال موارد افغانستـــان :**

وضعت الخطة الاقتصادية لافغانستان فى عهد (تره كى) بمعرفـــة (سلطان على كشتماند) الذى مازال موجودا هناك للعمل على تنفيذهـــا . وكان لابد لهذه الخطة التى أملتها روسيا من ان تتوافق وتدعم الخطـــط بعيدة المدى لتنمية روسيا نفسها . وفيما يلى ملامح هذه الخطة :

على نقيض ماذهبت اليه الخطة السباعية التى وضعت فى عهد (داوود) ، تركز الخطة الخمسية الحالية على التعدين والصناعات الاستخراجيـــة . وقد بلغ نصيب الاستثمارات فى هذه القطاعات فى الخطة الحالية ٥٠٪ فى حين انها كانت تمثل ٢٨٪ فى الخطة السابقة . اما نصيب الزراعة فقـــد ارتفع من ١٨٪ فى الخطة السابقة الى ٢٥٪ فى الخطة الحالية . ولما كانت خطة (داوود) ترتبط أشد الارتباط بتصدير المواد الخام الى ايـــران ، مما يتطلب ادخال تحسينات على مرافق النقل البرى ، فقد خصص حوالى ٣٠٪ من مجموع الاستثمارات لتحسين هذه المرافق ، ولكننا نجد هـــذه المخصصات تنخفض الى مالا يزيد عن ٥٪ فى الخطة الجديدة . والسبب فى ذلك هو ان النقل البرى المؤدى الى الحدود السوفيتية قد تم ارساء قواعده وتحسينه بالفعل منذ ١٥ عاما حيث يوجد طريق معبد يربـــط كابول بالحدود السوفيتية عن طريق نفق يمتد مسافة ميل واحد . وبعـــد أن استولى الشيوعيون على مقاليد الامور فى افغانستان ، شرع السوفييت فى اتخاذ الخطوة التكميلية - وان تأخرت نحوا من ١٥ عاما - بانشاء جسر على نهر آمو تبلغ تكاليفه (٥٠ مليون دولار) ، ومد الخط الحديـــدى من تاجكستان مسافة تقرب من ١٠ كيلومترات داخل افغانستان . وهناك برنامج اضافى لتحسين الطرق فى المنطقة تبلغ تكاليفه حوالى ٦ ملايـــين دولار ، يتيح للسوفييت طريقا ميسورا الى الموارد المعدنية والمواد الخـــام فى افغانستان وما وراءها . واذا كانت قد انقضت مدة ١٥ عاما ما بـــين

حفر نفق فى قلب جبال هندوكوش وبين انشاء جسر على نهر آمـــــو ، فان ذلك انما يدلنا على مدى صبر الاتحاد السوفيتى فى تنفيـــــذ خططه بعيدة المدى .

وتتضمن الخطة الجديدة التزامات واسعة النطاق من جانـــــب روسيا فى مجال الكشف الجيولوجى والتنقيب عن المعادن . فقـــــد حصلت روسيا على امتياز استغلال البترول والغاز . وقد بلغـــــت الارتباطات الفعلية لروسيا ودول كتلة الكوميكون فى مجال استغلال المواد الخام والمعادن بعد سيطرة الشيوعيين على البلاد (٧٨٢مليون دولار) من بينها (٥٤مليون دولار) لشراء معدات التصوير والمسح الجيولوجى، (٥٦٢ مليون دولار) لانشاء مصنع لصهر النحاس ربما تبلغ تكاليفـــــه الاجمالية (١٠٠٠ مليون دولار) ، (٦١مليون دولار) لتمدين الفحم و(١٠٥ ملايين دولار) لتنفيذ حوالى ٣٠ مشروعا آخر من المشروعـــــات المساعدة .

ويمكن النظر الى هذه الارتباطات الضخمة فى مجال التمدين فـــــى أفغانستان على أنها امتداد للسياسة الاقتصادية السوفيتية العالميـــــة والتى قالت عنها مجلة بيزنس ويك فى عددها الصادر بتاريخ ٢ يوليو١٩٧٩ (ص٤٦) ان الاتحاد السوفيتى الذى حقق لنفسه اكتفاء ذاتيا فى كـــــل أنواع المعادن تقريبا خلال الحقبة الماضية ، قد أصبح ايضا من أكـــبر الموردين والتجار فى سوق المعادن الدولية .

ان هذه الاستثمارات الكبرى فى عمليات التعدين والسعى الحثيث وراء موارد الغاز والبترول فى افغانستان هو بلا شك عامل قوى ان لم يكـــــن السبب الوحيد وراء الغزو السوفيتى لافغانستان . فهذه البلاد مستودع

لموارد هائلة ، وهى حقيقة يعرفها الروس حق المعرفة بحكم تاريخهم الطويل فى الكشف عن المعادن . وليس من مصلحة افغانستان استخراج هذه المعادن فى المرحلة الحالية ، طالما أنها لا تستطيع التعامل فى الاسواق الحرة لبيعها بسعر مجز ، وطالما انها تفتقر الى الامكانات الضرورية لاستخدامها فى صناعاتها المحلية . ومن ثم فان هذه المعادن سوف تستغلها روسيا وحدها .

وفى حين تستأثر كتلة الكوميكون بتنمية الموارد المعدنية ، ظلت الاستثمارات فى قطاع الزراعة الى عهد قريب تُطلب من بقية دول العالم التى يوجد لديها ميل طبيعى للاستثمار فى هذا القطاع . وقد بلغت جملة الاستثمارات فى قطاع الزراعة حوالى ٢١٠ مليون دولار قدمها البنك الدولى ووكالة التنمية الدولية والبنك الاسيوى ودول الخليج العربى وغير ذلك من المصادر ، وبعبارة اخرى فان أية أموال يمكن الحصول عليها من بقية دول العالم تخصص لقطاع الزراعة ومع ذلك فان انتاج هذا القطاع سيذهب الى الاتحاد السوفيتى كما هو الحال بالنسبة لانتاج المنطقة الزراعية التى أنشأها السوفييت فى اقليم ننجراهار . وهذه السياسة النفعية فى اجتذاب الاستثمارات الى قطاع الزراعة من المصادر الدولية يتعارض مع السياسة المذهبية المتشددة التى استمر العمل بها حتى عهد قريب فيما يختص بالزراعة المحلية . اما على المستوى الداخلى فان المبدأ الاساسى فى السياسة الزراعية يمكن تلخيصه فى جملة واحدة : تشجيع العداء بين الطبقات وتوسعة قاعدة التأييد للحكومة الحالية . فقد تم توزيع (٦٠٠٠٠) فدان على (٧٦٠٠٠) اسرة من بين الاراضى المصادرة والتى تبلغ مساحتها الاجمالية (٣ ملايين فدان) ، ومن الواضح ان الهدف المرسوم هو اعادة توزيع جميع الاراضى المصادرة بغية كسب تأييد قطاع من الشعب الافغانى يصل تعداده الى (٢٫٥ مليون) نسمة ولتهيئة النجاح لهذا

البرنامج تم استيراد اسمدة قيمتها حوالى (٥ر٨ مليون دولار) من كوريا الجنوبية على الرغم من سحب الاعتراف الدبلوماسى بهذه الدولة لصالح كوريا الشمالية .

ولم تكتف الحكومة بالاعتماد على هذا البرنامج كوسيلة لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى مجال الزراعة ، فقد عملت على تحويل الاراضى التى حصلت عليها مؤخرا الى مزارع للدولة ذات مساحة هائلة تصل فى بعض الاحيان الى (٥٠٠٠ر٥ فدان) من خلال استصلاح الاراضى البكر .

ولهذا التركيز على الزراعة اهميته البالغة اذا وضعنا فى الاعتبار ان نقص المواد الغذائية فى عام ٧٠ - ٧١ لعب دورا هاما فى تقويض قواعد الحكومة الملكية فى افغانستان فى ذلك الوقت .

ولما كانت روسيا تستورد الحبوب فانها لا يسعها الا ان تستغل الامكانات الزراعية الشاسعة فى افغانستان الى اقصى حد ممكن .

وبهذه البرامج الزراعية والمشروعات الصناعية المنوه عنها آنفا مقرونة بالتوسع فى التعليم والخدمات الاجتماعية ، تأمل الحكومات العميلة فى ان تتمكن من تحويل موجة السخط وكسب تأييد مالا يقل عن ٣٠ - ٤٠ ٪ من سكان البلاد الذين يقدر عددهم بـ(٥٠٠٠ر١٠٠ر١٥ نسمة) ، اى اقل من التقديرات السابقة لعدد سكان افغانستان والتى تصل بهذا العدد الى (٥٠٠٠٠ر١٧ نسمة) .

ولقد فشلت هذه السياسة ، واكبر دليل على فشلها هو الوجود السوفيتى فى افغانستان فى حد ذاته . فقد ادرك الشعب الافغانى هدف الاستغلال الاقتصادى ورفض ان تكون بلاده مزرعة حبوب فى خدمة روسيا او ان ترضخ لاستغلالها الصناعى .

٢ - احتـــواء الصـــين :

وهناك سبب ثان لاستيلاء روسيا على أفغانستان وهو الرغبة فـــى احتواء الصين . ويمكن ان ندرك السبب فى أهمية احتواء الصـــين بالنسبة لروسيا فى ضوء الاعتبارات الاتيـة :

١- مع مرور الزمن سوف يحتاج سكان الصين الى مقادير هائلة من الموارد والطاقة وغيرها ؛

٢-ان الطريقة الفعالة التى تأخذ بها الصين التكنولوجيا الحديثة وتضفى عليها طابعها الذاتى فى التنمية والنمو تجعل احتمالات تحولها الـى قوة عالمية من الطراز الاول امرا مؤكـدا .

٣-لعل هاتين الحقيقتين المنوه عنهما آنفا أساس نشوء وجهة النظـر السوفيتية الاتية عن الصين والتى لخصها هاريسون ساليزبرج رئيـــس التحرير المشارك السابق لصحيفة نيويورك تايمز والمراسل السابـــق للصحيفة فى موسكو لعدة سنوات حيث يقول : " هناك رأى فـــى هيئة أركان الحرب السوفيتية ظهر منذ مالا يقل عن ١٠ سنوات وربمـــا ٢٠ سنة ، يقول أن الحرب مع الصين أمر حتمى ، وانه من الأفضـــل التعجيل بخوضها وكسبها لان الجنرالات لا يرون ان الزمن فى صالـح السوفييت لاسيما اذا أمكن تحقيق أهداف تنج هسياوينج التكنولوجية والعسكرية نتيجة لتزايد أواصر التعاون بين الصين وامريكا ".

ومن هنا ترغب روسيا فى احتواء الصين ، وتمثل افغانستان وباكستان والهند وبورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام .. الخ الادوات المباشرة فى سياسة الاحتواء هذه ، فلابد من تطويق هذه الدول لتحقيـــــق الاهداف السوفيتية ، اما الطرق والوسائل الكفيلة بالتعامل مع كـــل دولة من هذه الدول فتحددها ظروف كل منها ، وكانت الطريقــة

المثلى فى افغانستان هى تنصيب حكومة يمكن التحكم فيها وتحريكهـــــا ، اما فى باكستان فأفضل طريقة هى استغلال قومية شعب البوشتـــــــون والبلوخ وامكانية تقسيم البلاد . وفى الهند يمكن اللعب على العـــداء التقليدى الذى تكنه هذه البلاد تجاه الصين وباكستان وربما استغـــلال الفقر السائد هناك مع التزام الحرص لكى لا تصبح الهند عبئا على روسيا يستنزف مواردها . اما فى بقية أنحاء جنوب آسيا وشرقها فان القضيـــة معروفة ، ان زحف فيتنام على كمبوديا واقتحام الصين لاراضى فيتنام اقتحاما احسن تدبيره وهى الهجمات التى يمكن ان تكون مقدمات لحرب عالميـــة ثالثة ، لا يمكن ان تكون من قبيل ردود الفعل العفوية ، وانما هـــــى نتيجة استعدادات واستعدادات مضادة احكم تخطيطها وتدبيرها .

٣ **الوصول الى موارد البترول فى الشرق الاوسط :**

ان الوصول الى المياه الدافئة هدف يتفق مع مصلحة روسيا لاكثر من سبب . فالتصنيع الذى تشهده مناطقها الجنوبية يحتاج بالطبع الى منافذ لاستيراد المواد الخام وتصدير المنتجات المصنعة ، ولما كانت موارد البترول الروسية قد اخذت فى التضاؤل ، ونظرا لتعذر الوصول الى موارد البترول فـــــى سيبريا ، فانه لابد بالطبع من ايجاد مصادر اخرى ، وهذه المصادر متوافرة فى أفغانستان ويمكن الوصول اليها مستقبلا عن طريق صحارى بلوخستان من آبار البترول الموجودة فى الشرق الاوسط . ومن بين هذه الاسباب العديدة يبدو أن الوصول للموارد البترولية هو الاكثر أهمية حسبما يراه أغلـــــب المعلقين ، وقد ابرزوه فى تعليقاتهم بما لا يدع لنا مجالا للافاضة فيه .

٤ - قمع حركات التحرير في الاقاليم الجنوبية :

ان عمق الشعور بالاسلام صفة يعترف بها الصديق والعدو على السواء ، وتشعر روسيا بقوة هذه المشاعر في اقاليمها الجنوبية ، ذلك لأن عملية ضم هذه الاقاليم بالقوة الى دولة ملحدة لا يمكن أن تستمر طويلا . وكانت حسابات روسيا تقوم على أساس ان تحركها في افغانستان لاسباب اقتصادية يتفق مع اطماعها في استئصال اية اتجاهات للتحرر من نيرها قبل ان تنمو هذه الاتجاهات في اقاليمها الجنوبية . وهنا برز الحمق على أشده وحدث العكس تماما فقد استثيرت مشاعر المسلمين البالغ عددهم سبعون مليونا في روسيا .

والان على الدول الاسلامية ولا سيما تلك المجاورة لافغانستان ان تفكر مليا وأن تحاول تلمس اسباب الاعتداء الروسي ولا شك أنها ستصل الى نفس التقديرات التي وصلنا اليها . فالمذهب الالحادي الذي تدين به روسيا يتعارض تعارضا تاما مع الاسلام ، وكان لابد من التصادم . ان حاجة روسيا الى الموارد وقسوتها المتناهية في سبيل الحصول عليها لا تعدو أن تكون المظهر الخارجي لهذا المذهب الالحادي . وسوف تتذرع روسيا بالصبر دائما فقد مرت عشرون سنة كاملة بين قيامها بحفر أول نفق في قلب جبال هندوكوش وبين الخطوة المكملة له لبناء جسر فوق نهر (آمو) . وربما تقبل جيل الافغانيين الذين شاهدوا بناء النفق على أنه رمز لصداقة روسيا ، ولكن الجيل الذي يشهد الان بناء الجسر فوق نهر (آمو) لا يشعر افراده بشئ سوى الكراهية ونحن لا ننكر ان اجهزة الرصد الموجودة لدينا يعتورها الضعف والخلل فقد اقترفنا أخطاء عديدة ولم نر المستقبل بوضوح . ولكن في الوقت ذاته لم يكن لدينا مطلقا حكومة نيابية تمثل شعبنا فعلا وتقودنا الى شاطئ الامان وتجنبنا الاخطار . ولم تع حكوماتنا تلك التحذيرات وتجاهلت تنفيذ الاصلاحات

المطلوبة ، وكان التعليم فى حالة من الفوضى ولم تكن السياسات الاقتصادية تمت بصلة لتنمية البلاد ولم تبذل محاولات لتحقيق المصالحة او الوحدة الوطنية وكانت العدالة ممسوخة ولم يكن هناك وجود للعدل الاسلامى . .
تلك هى الأوضاع التى كانت سائدة عندما حاولت روسيا اغراء ابناء العم لكى يسعى احدهم لطرد الآخر .

ولا غرابة اذن فى أن البلاد كانت تفتقر الى القيادة والخبرة فى شئون الحكم مما أدى الى حدوث انقسامات فى صفوف الشعب. ولكننا شعب ذو وعى عميق وندرك بأن استمرار خلافاتنا سيكون على حساب تحرير أفغانستان وفى هذا المجال تتركز جهودنا ، ولن يكون يوم تحقيق الوحدة ببعيد ان شاء الله . ان سنتين من القتال والتضحية بثلاثمائة الف شهيد قد علمتنا الكثير .

ان هذه الوحدة آتية لا بد منها لأن الشعب الافغانى هو الذى يطالب بها ولأن مصلحة الجهاد تفرضها وسيتحرك كل المخلصين المؤمنين من أبناء افغانستان تحت لواء هذه الوحدة . وعلى المناصرين لحركة تحرير افغانستان فى العالم من المسلمين ومن غيرهم أن لا يتعاملوا وان لا يتعاونوا الا مع هذه القوى الموحدة وأن يسدوا الطريق أمام أى تنظيم آخر يحرص على استقلاليته وانفصاله عن القوى الموحدة .

التزامات العالم الاسلامى :

لقد عرضنا عليكم تقديرنا الموضوعى والصريح لقضيتنا ولا طماع روسيا . ويشير تقديرنا الموضوعى الى أن جيراننا سوف يستمرون على قيد الحياة لمدة سنتين أو ثلاث سنوات على أحسن تقدير ريثما تدعم روسيا موقفها فى أفغانستان وبعد ذلك سيقعون جميعا ضحايا لمخططات روسيا الكبرى التى ستعمل على تفجير

المنطقة وتقسيمها واثارة النعرات والعصبيات ثم تعيد تجميع القطع المتناثرة وفق رغباتها . وليس من المجدى فى شئ التكهن بشكل هذه المخططات والترتيبات ولكن المؤكد أنها ستتفق مع تخيلات أعضاء المكتب السياسى الروسى فى ذلك الوقت وان كان معظم أعضاء هذا المكتب فى أواخر ايام حياتهم الان .

ومن الممكن ان تؤدى فترة الهدنة لمدة سنة او سنتين والمشار اليها آنفا الى ان يسلم العالم الاسلامى نفسه لسبات عميق ، ولكن المسلمين سوف يرتكبون أفدح اخطائهم اذا لم يدركوا المخططات الروسية البعيدة المدى بمرور فترات زمنية تكتيكية هادئة . ان العالم الاسلامى سوف يجر يوما الى الصدام مع الشيوعية سواء أراد ذلك او لم يرد ولذلك فانه قد اصبح لزاما عليه ان يتخذ الان خطوة حازمة ويرد الشيوعية على أعقابها والا فانه سيرى نفسه وهو يقطع اربا اربا . فاما ان يعى العالم الاسلامى تعاليم القرآن الكريم وينضم الينا فى حربنا المقدسة أو أن يصغى الى نصائح الخبراء السياسيين والتى يتم تفصيلها وفق رغبات طالبيها .

ونحن قادرون وملزمون بخوض الحرب بانفسنا فهذا واجبنا ولكننا نطلب منكم تفهم مشاكلنا ودعمكم المادى والمعنوى لنا . ولا بد ان يكون هذا الدعم سخيا وغير مشروط ويقدم بروح اسلامية صحيحة وان يصلنا قبل فوات الاوان ، واذا كان بعض أشقائنا المسلمين قد فتر حماسهم حتى من تقديم المساندة المعنوية أو التأييد الادبى لنا ، فاننا نود فقط ان نلفت انتباههم الى ان تاريخنا الحديث يتضمن دروسا وعبرا نأمل أن يدركوها قبل فوات الاوان .

ان تذبذب منظمة التحرير الفلسطينية فى موقفها ازاء العدوان الروسى لن يضعف من التزامنا بتحرير المسجد الاقصى ومساعدة الوف الاطفال والنساء الذين شردوا من أوطانهم .

اننا نشعر بالتقدير للعالم الغربى فى مجابهته لاستراتيجيات روسيا على الصعيد العالمى ولا شك ان اميركا ستتكبد خسارة من جراء تخزين القمح الذى أوقف تصديره

كما ستتحمل بعض الخسائر نتيجة لمنع تصدير التكنولوجيا المتقدمة ـ. و هذه الاجراءات مع الغاء الدورة الاولمبية ـ اذا ما وضعت موضع التنفيذ ـ سيكون لها اثرها على روسيا . ولكن الامر الذى يهمنا هو :

هل سيكون هذا التأثير من الضخامة بحيث يجبر روسيا على الانسحاب ؟

اننا ندرك تماما بأن لا امريكا ولا العالم الغربى بصفة عامة سيهب لمساعدة قوات التحرير فى افغانستان . ولكن تقديرنا لتحركات روسيا لا يترك لدينا اى مجال للشك باننا ضحية لاستراتيجية عالمية ، اذ اننا نواجه حربا سيكون للانتصار فيها فائدة كبرى للعالم بقدر ما سيكون مفيدا لنا اذ أنها ستكون المرة الاولى فى تاريخ العالم التى يتراجع فيها الستار الحديدى ويبدأ فى الانحسار .

والسؤال الذى نطرحه الان امام ضمير العالم الغربى والضمير العالمى : هل سيترك شعب الافغان وحيدا ليتحمل نتائج حرب تخوضها روسيا تحقيقا لاطماع استراتيجيتها العالمية ؟ . ونحن ندرك أيضا ان العالم لا يسمع صوت الضمير وانما يصغى لصوت المصلحة . فالغرب يراقب باهتمام ما ستتخذونه من مواقف ومدى استعدادكم للتضحية فى مواجهة هذا الاعتداء الشيوعى الغاشم على الاسلام وستكون مساعداتهم متناسبة مع نوعية التزاماتكم وقد اعربوا عن وجهة نظرهم فى هذا الصدد بكل وضوح .

اننا لن نهن ولن نستكين ولن نفرط فى واجبنا فى ان نقاتل ، فنحن على يقين من اننا نسير على طريق الفلاح . ونرجو أن تحددوا مواقفكم فى ضوء ما يمليه عليكم الاسلام . واذكروا قول نبيكم صلى الله عليه وسلم .

" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ".


Bibliotheca Alexandrina
0691575